كلية: الآداب

القسم أو الفرع: اللغة العربية

المرحلة: الدراسات العليا/ الدكتوراه

أستاذ المادة: أ.د.علي محمد عبد

اسم المادة باللغة العربية: قراءة في كتاب أدبي قديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية: A Reading in Book old Literary

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: المنهج والوصف لكتاب المرقصات والمطربات لابن سعيد الأندلسي

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: -Al' The General Approach of the Book

'Murqisat wa Al-Muttribat

محتوى المحاضرة العاشرة

منهج ابن سعيد في كتابه المرقصات والمطربات

اشتهر ابن سعيد باعتباره من أصحاب المؤلفات التي تعرضت لتاريخ الأندلس وبلادها ورجالها، ومن أشهر كتبه في تراجم الاندلسيين وذكر بلادهم هو (المُغرب في حلى المغرب)، وله مؤلفات أخرى في تراجم الشرق وهو (المُشرق في حلى المشرق)، كان ابن سعيد شاعراً وكاتباً ومصنفاً، ألف كتاب (عنوان المرقصات والمطربات) وهو صورة مصغرة لمؤلف أخر في الموضوع ذاته سماه (جامع المرقصات والمطربات) فكان (عنوان المرقصات) كالمدخل إلى الجامع، ومنهج ابن سعيد في هذا الكتاب يقوم على أنه:

١- اختيار مجموعة من الشعر والنثر لأدباء وشعراء شارقة ومغاربة، ولم يتعد في النظم ألف بيت، فكأنَّه جعلها نماذج يسهل الحفظ منها والاخذ عنها.
٢- رتب المختارات على العصور، كل مئة سنة مجموعة.
٣- فصل بين المشارقة والمغاربة، وبين الشعر والنثر.
٤- قال إنه لن يتعرض للحكم على الشعراء ولا الموازنة بينهم في شعرهم ونثرهم، بل اكتفى بتصنيف الشعر على طريقته وهي كالاتي:

قسم ابن سعيد الكلام في خمس طبقات، وهي: (المرقص، والمطرب، والمقبول، والمسموع، والمتروك). وشرح المقصود من هذه المصطلحات وهي:

١- المرقص: وهو ما كان مخترعاً او مولداً يكاد يلحق بطبقة الاختراع، لما يوجد فيه من السر الذي يمكِّن أزمة القلوب من يديه، ويلقي منها محبة عليه، وذلك راجع الى الذوق والحس، مغنٍ بالإشارة عن العبارة كقول النابغة الذبياني:

وإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أنَّ المنتأى عنك واسعُ

٢- المطرب: ما نقص فيه الغوص عن درجة الاختراع إلا أن فيه مسحة من الإبداع كقول زهير في المتقدمين:

تراه إذا ما جئتَهُ متهللاً كأنَّك تعطيه الذي أنت سائله

٣- المقبول: ما كان عليه طلاوة مما لا يكون فيه غوص على تشبيه وتمثيل وما أشبه ذلك كقول طرفة في المتقدمين:

ستُبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار ما لم تزود

٤- المسموع: ما كان عليه أكثر الشعراء مما به القافية والوزن دون أن يمجه الطبع، ويستثقله السمع، كقول امرئ القيس:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجمَّلِ

٥- المتروك: ما كان كلاً على السمع والطبع، كقول المتنبي:

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيسٍ كلهن قلاقل

فجعل ابن سعيد الشعر في طبقات خمس أعلاها المرقص ويليه المطرب وقصر كتابه على هذين النوعين، وذكر أنه سيكثر من الشعر في كتابه ويقل من النثر، لكونه أعلق في الأفكار وأجول في الأقطار.

وخرج ابن سعيد من البحث النظري إلى التطبيق العملي، بإيراده نماذج للشعراء متدرجا على العصور، فبدأ بأمرؤ القيس وأكبره ثم بالنابغة وعنترة وطرفة وزهير وعلقمة واعشى بكر واعشى باهلة وقيس بن الخطيم، فهؤلاء من الجاهليين.

وكان ابن سعيد يلقي بآرائه المتفرقة عن الشعراء عرضاً فقال عن علقمة: (معاني الغوص في شعره معدومة). وقال عن عمر بن ابي ربيعة: (أكثر شعره من طبقة المقبول). وقال: (اعشى بكر ومجنون ليلى وعبدالله بن المعتز إمام المشبهين في الدولة العباسية).

وكان ابن سعيد يتوجه إلى المخترع من المعاني والمولد من المبتدع، فوصف أبا تمام بالاختراع، وابن الرومي بالاختراع والابتداع، والتهامي بالتولد والابتداع.

أما طريقته في عرض الكتاب فإنه بدأ ابن سعيد كتابه بالمختارات النثرية وهي أقل حجما من المختارات الشعرية وقدم لها بمقدمة قال فيها: (والنثر في كلامهم يطلق على ما هو مقيد بالسجع وما هو غير مقيد وجميع نثر القدماء داخل في طبقة المقبول وما تحتها). وبدأ بالنثر بعبد الحميد ثم ابي العباس الصولي وجعل ترسُّل ابن العميد من طبقة المقبول. وهكذا.

أمَّا رأيه في الأشعار فقد ذكر (محمد رضوان الداية) أنَّ ذوقه فيه يعتمد على شيئين هما: البديع، والغرابة، وهو ما قسمه إلى مرقص ومطرب.

الوصف العام للكتاب المرقصات والمطربات

يُعد هذا الكتاب في جملة كتب الاختيارات الأدبية؛ شعرًا ونثرًا, افتتح ابن سعيد كتابه بمقولة تفصح عن عدم انتصاره للقديم على المحدث, ولا المحدث على القديم, عادًّا الفضل لمن يُقدِّم معنىً مبتكرًا في صورة مخترعة, فقال: "فإنَّ اللهَ -جلَّ وعلا- جعلَ قيمةُ كلِّ امريءٍ ما يُحسنُ ويقول, وشَرفُ البلاغةِ بأن تأخُذَ الأفهامُ منها على قدر القرائحِ والعقول, ولم يُمكن من أعنتها كلَّ قاصر, وحباها في كلِّ عصرٍ بِأكرم وليٍّ وأعزِ ناصر, ولم يَقصُرِ الفضلَ على من تقدَّم...".

ويستشهد بمقولة القدماء في أنَّ المتقدمين بنوا فأوثقوا, وإنَّ المتأخرين زيَّنوا ونمَّقوا.

ولم يخرج ابن سعيد عن الذوق الأدبي الذي ورثه عن العرب في نظرتهم إلى الشعرِ, وتذوقهم الخصائص الفنية التي انمازت بها نصوص الشعراء, فكانت اختياراته -ولا سيما- المشرقية منها موافقة لذوق نقّاد المشرق وأدبائه.

وقد اعتمد ابن سعيد في اختياراته الأدبية على ثلاثة مقاييس حاكمة, هي:

أولًا: المقياس المكاني, ويتجلى في تصنيف الشعراء إلى شعراء المشرق, وشعراء المغرب, ومن الغريب أنّه جعل مصر في المغرب العربي, واستشهد لشعرائها وأدبائها على أنّهم من المغاربة, وهذا يعني أنّ المغرب عنده يمتد من الحدود الغربية لبلاد الأندلس, وينتهي بالحدود الشرقية لمصر.

ثانيًا: المقياس الزماني, ويتجلى في تقسيم الشعراء على أساس القرون, فاختار شعراء لعصر ما قبل الإسلام, ثمّ لشعراء الإسلام في المائة الأولى, والثانية, والثالثة, وصولًا إلى عصر المؤلف.

ثالثًا: المقياس الفني, ويتجلى في اختيار النصوص التي تنتمي إلى طبقتي المُرقِص والمُطرِب بالمفهومِ الذي حدده في أول الكتاب, وحاول أن يلتزم به في اختياراته.

وتتجلى قيمة الكتاب في أنهُ اشتمل على عدد كبير من الشعراء من المشرق والمغرب, محكومة بذوق أدبي من لدن مؤلفه, ويلحظ أنَّ الكتّاب والشعراء ليسوا كلهم من طبقة واحدة, ولا من جيل واحد, وإنما من طبقات متباينة تمتد إلى العصر الجاهلي, مرورًا بعصر صدر الإسلام, والعصر الأموي, ثم العصر العباسي, ثم إلى زمان المؤلف.

ويطلق ابن سعيد بين الحين والآخر أحكامًا نقدية يتعلق بعضها بالشاعر نفسه كما في قوله في امرئ القيس: "إمامُهُم وحامِلُ لِوائِهِم". وقد يتعلق نقده بشعر الشاعر ولغته الشعرية, كقولهِ في زهير: "أكثرُ ما اشتهر بهِ الحِكَمُ والأمثالُ مما يدخلُ في طبقةِ المُقبُولِ".

ولم يكن في أغلب اختياراته معللًا, وكان يكتفي بعبارة (من المرقص) أو (من المطرب)؛ إشارة إلى القيد الذي حكم به نفسه في مقدمة الكتاب.

معيار النقد عند ابن سعيد في نظر الدكتور احسان عباس

وقد ذكر الدكتور إحسان عباس في كتابه (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) ان ابن سعيد يطلب الغرابة في اختياراته، إذ قال أنَّ الغرابة "هو الاكسير الذي يسعى إلى العثور عليه نقاد المشرق منذ زمن بعيد، حين كانوا يحسون بالشبع من تكرار المألوف ومن تواتر الأشكال المتشابهة، فلا غرابة حينئذ أن يسمي ابن سعيد كتابه الكبير باسم (المُغرب) والغرابة تعني الجدة المصاحبة للابتكار او الجدة المرافقة لتوليد شيء جديد من أمور لم تعد جديدة، واذا عثر عليها المتذوق اشتد به الطرب إلى درجة التعبير عنه بالرقص، ولذلك سمَّى ما تمتع بالجدة من حيث الابتكار او التوليد باسم (المرقص) وسمَّى ما دونه مما عليه اثارة من الابتداع لا تبلغ بالمتذوق حد الرقص وانما تثير في النفس هزة ارتياح ونشوة طرب باسم (المطرب)".

وأكد الدكتور (احسان عباس) ان المرقص ليس "هو الشعر القائم على التشبيه بل على غريب التشبيه، او غريب الصورة، استعارة كانت او تشبيهاً او غير ذلك؛ فهناك تشبيه جميل ولكنه لا يبلغ حد المرقص، وهناك (التشبيهات العقم) وهي أيضا شيٌ غير المرقص، لان ابن سعيد لا يخلطها به".

وكذلك أكد الدكتور (إحسان عباس) على ان المرقص والمطرب يرجحان الشعر المحدث على القديم، إذ ذكر الدكتور أن ابن سعيد قد وجد "المرقص والمطرب يترددان معا في أشعار الجاهليين والإسلاميين، والمحدثين، مع غلبة في المطرب على المرقص، ويقل المطرب كثيرا بعد المائة الرابعة، حتى اذا وصلنا الخامسة والسادسة والسابعة، اختفى الاستشهاد بالمطرب، ولم يبق الا الأمثلة على المرقص، وليس معنى هذا أن المطرب لم يعد له وجود، بل إن كثرة المرقص قد أغنت عن إيراده.

وإذا كان المقياس هو الغوص في التشبيه والتمثيل، فمعنى ذلك ان شعر الاقدمين يقل فيه المرقص ويكثر فيه المطرب،...وكان أكثر شعر الشعراء في القرون الثلاثة الأخيرة من المرقص والمطرب وأقله من المقبول والمسموع والمتروك، وهذا يعني حقيقة واحدة وهي إجادة المتأخرين للغوص على التشبيهات، وميل الأذواق إلى طريقتهم".

وذكر الدكتور احسان، أن المرقص والمطرب انتصار لفكرة المتعة على الفكرة الأخلاقية، ذلك أن ابن سعيد نظر إلى الشعر من ناحية التأثير وحسب، وقصر النظر على فعل الشعر في نفس المتلقي دون سواها، فانحصرت براعة الشعر في ابراز وجه جديد من القول قائم على الصورة. فيفز المتأخرون عند ابن سعيد بقصب السبق في الاختراع والتوليد، وفي ذلك يجدر الإشارة إلى ان مقياس ابن سعيد سريع إلى الاختلال عند الفحص، لا من حيث النظرة والذوق، بل من حيث شمول النظرة، فيذكر الدكتور احسان انه يجد اضطرابا داخليا لدى ابن سعيد في الأخذ بمقياسه، فهو يحب شعر المجنون وقيس بن ذريح وكثير دون ان تكون صلة ذلك الشعر قوية بالغوص على الصور، وهو يرى في المعري (اشعر مَن مَلَك طريق التخييل). مع اختلاف في الذوق الأندلسي المتمثل في اشياخ ابن خلدون الذين يخرجون المعري والمتنبي من دائرة الشعر لا نهما لا يجريان على طريقة العرب، وتلك عودة إلى جمال الموسيقى التي وجدوها عند البحتري.

نماذج من الأشعار النابغة الذبياني المرقصة:

١- **و إنَّك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسعُ**

فالجمال الذي يتراءى في هذا البيت يتمثل في التشبيه المبتكر، وأحسب أنَّ ابن سعيد رأى ذلك فسماه (المرقص)، إذ شبه النابغةُ النعمانَ بن المنذر بالليل، ذلك أنَّ الليل يَغشِى كل شيءٍ بظلمته، فيصير له كالغشاء والوعاء، فيمنع التصرف، على خلاف والنهار( ). وقوله: "فإنَّك كالليل"، أي في قبضته، وقدرته على الإحاطة الموجودات بظلامه، وذكر محمد أبو الفضل في أنَّه خصَّ الليل دون النهار "لانَّ ظلامه يلبس كل شيء، وكل شيء يسكن فيه، والنهار أيضا يشمل كل شيء، ولكن بعض الناس ينتشر فيه، ولا يسكن كسكونه في الليل"( ). وتشبيه المنذر بالليل؛ لأن "الليل مضلٌ يأخذ بالمذاهب، ويحبس الذاهب، ويقبض البصر، غير ما فيه من الروع والهول وتعفية الأثر، وهو ما أراده النابغة

فنلحظ من هذه التعبيرات ان ابن سعيد قد اختارها لأن صورة التشبيه فيها مبتكرة لم تُعهد عند أحد من الشعراء الذين سبقوه، فهو المبتكر لهذه الصورة الجميلة في التشبيه.

٢- **و إنَّك شمسٌ والملوكُ كواكبُ إذا طلعت لم يبد منهن كوكبُ**

ومن صور اختيارات ابن سعيد المرقصة، هذا البيت الذي يحمل صورة من صور التشبيه المبتكرة بحسب ابن سعيد، فهذا البيت يحمل الاعتذار من النابغة إلى النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له، ويقول: "فإنّي لا أريد غيرك من الملوك، كما أنَّ مَن طلعت عليه الشمس لم يحتج إلى النجوم ، وقال أبو ذكوان: "وما رأيت أعلم بالشعر منه،...ولو أراد كاتب بليغ أن ينثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناسوقال أبو هلال العسكري في هذا البيت: "قد سبق النابغةَ إلى هذا المعنى بعضُ شعراء كندة الذي قال يمتدح عمرو بن هند:

هو الشمس وافت يوم سعدٍ فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكبُ

فيتضح ممَّا سبق أن بيت النابغة لم يكن صورة مبتكرة، بل كان يشابه في نظمه لفظا ومعنى ما أتى به شاعر كندة في مدح عمرو بن هند، فعلى هذا توهم ابن سعيد ابتكار النابغة لهذه الصورة التشبيهية، فيخرج من مرتبة المرقص إلى مرتبة أدنى منه وهو (المطرب).

٣ - من محاسن الجاهلية إمامهم وحامل لوائهم أمرؤ القيس، وهو يرى ان احسن ما جاء في باب التشبيه (بأجماع الرواة) ، من مرقصاته قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

ان سبب الاختيار جاء معنى واسع في كلام مختصر ، اي بيت واحد ، من تشبيه شيء في شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين، فعامل الحالين وصاحبهما قوله "كأن" وهو حرف متضمن معنى الفعل "أشبه" دون حروفه. ويتفرع عنهما عوامل أخرى، هذا من أجود تشبهٍ للعرب : **صحّة معنى، وفصاحة لفظٍ، وجودة تقسيم.**

شبه القلوب رطبة، بالعناب، ويابسة، بالحشف البالي، وإنما خص القلوب لأنها أطيبها، فإذا صادت الطير جاءت بقلوبها إلى أفراخها، قال الأصمعي: "إذا كانت الطير تزق منها، فهو أسرع لطيرانها"، وزعم بعض أصحابنا: أن الجارح لا يأكل شيئاً من قلوب الطير، وإنما خص القلوب لبقائها في وكر العقاب، تلك التي ذكرها.

وهو اجمل من وصف شيئين بشيئين، قال عنه بشار ما زلت اراود منذ سمعت قول امرؤ القيس ان اشبه واصف شيئين بشيئين فلم استطع الى ان قلت (كأن مثار النقع فوق رؤوسنا)، "ومما انفرد به قوله في العقاب.

ان سبب اختيار هذه البيت لان فيه جمال التشبيه ، وان الشاعر لم يسبقه احد في الوصف الى هذه الشيء .

٤ - ومن ابدع ما قيل في التبليغ قول امرؤ القيس:

كأن عيون الوحش خول خبائنا ... وأرجلنا الجذع الذي لم يثقب

هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تماماً، قبل انتهائه إلى القافية، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها، فتزيد البيت نصاعة، والمعنى بليغاً إلى الغاية القصوى في الجودة، فقد تم الوصف قبل القافية، وذلك أن "عيون الوحش" إذا ماتت وتغيرت هيئتها، أشبهت الجذع، ثم أتى بالقافية، ثم أكد المعنى البعيد في التأكيد، لأن تشبيه عيون الوحش بالجذع الذي لم يثقب، أوقع في التشبيه، وزعم الأصمعي، أنه إذا كان كذلك، كان أصفى له وأحسن.

فلو قال: كأن عيون الوحش الجزع الذي لم يثقب، واستقام الوزن بذلك، لكان التشبيه تاماً واقعاً، فلما لم يقم الوزن، أورد في المعنى زيادة بارعة، رائعة، لأن قوله "حول خبائنا وأرحلنا" إخبار عن كثرته، وتمدح منه بأنه مرزوق في صيده.

ان الذي يبدو على اختيارات ابن سعيد الاندلسي كانت اغلبها موافقة لاختيارات النقاد العرب المشارقة السابقين له، ومن ذلك اختياراته لأشعار امرؤ القيس على ابيات معينه اعجبوا بتشبيهاتها ، ودقة معانيها ، ورعة اسلوبها ، فوافق ذلك الاختيار الذوق السليم الذي اتفق عليه اغلب نقادنا القدامى .

دراسات حول الكتاب:

عنوان الدراسة الاولى : تجليات الشعرية في التراث النقدي العربي بين النظرية والاجراء ، قراءة في كتاب المرقصات والمطربات لابن سعيد الاندلسي (ت ٦٨٥هـ).

مكان الدراسة: جامعة كربلاء

سنة الدراسة : ٢٠١٩م.

صاحب الدراسة: د. صباح حسن عبيد ، د. فلاح عبد سركال

الدراسة الثانية : التطابق " عنوان المرقصات والمطربات " لابن سعيد الاندلسي وفصول من كتاب " كنز الدرر" لابي بكر الدواداري: صوره ودلالاته .

مكان الدراسة : مجلة جامعة الشارقة للعلوم الانسانية والاجتماعية .

سنة الدراسة : ٢٠٢٢م.

صاحب الدراسة :نجاة محمد حداقة ، صلاح محمد جرار.

هدف البحث: يهدف البحث الى الكشف عن التشابه بين الكتابين الذي يصل الى حد التطابق بين (المرقصات والمطربات لابن سعيد الاندلسي ت ٦٨٥هـ) و(كنز الدرر وجامع القرر لابي بكر الدواداري ت٧٣٦ هـ)، حيث وجد الباحثان ان كل ما تضمنه الكتابان متفرقا في اجزاء متتالية وبالتسلسل الذي ورد في كتاب ابن سعيد، الا ان ابن الدواداري لم يشر في كتابه الى كتاب ابن سعيد، مما يطرح اسباب هذا التشابه بين الكتابين و بعض صور الاختلاف .